

الصراع بين قبائل الفلان وأثره على منطقة السودان الغربي خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي

The Conflict between the Fulani Tribes and Its Impact on Western Sudan during the Second Half of the 19th Century

بابا عبد الله الجامعة الإفريقية احمد درارية أدرار ، (الجزائر)، Abd.baba@univ-adrar.edu.dz	سعيدى إسماعيل (*) مخبر المخطوطات الجزائرية في إفريقيا ، الجامعة الإفريقية أحمد درارية ، (الجزائر)، sma.saidi@univ-adrar.edu.dz
--	---

تاريخ الاستلام: 2022/06/ 02 تاريخ القبول: 2023/05/ 24 تاريخ النشر: 2023/06/ 10	
المملخص قام الفلانيون بدور كبير في مجال الدعوة الى الإسلام ونشره في منطقة السودان الغربي، و يبرز دورهم جليا في القرن التاسع عشر في الحركات الإصلاحية التي قاموا بها، وفي الدول الإسلامية التي أسسوها، وفي الطرق الصوفية التي نشروا أفكارها خاصة الطريقتين القادرية و التيجانية ، الامر الذي ولد صراعا بين أبنائها على نحو ما هو بين الحاج عمر الفوتي التيجاني والأمير احمدو الثالث الماسيني القادري ، وتهدف هذه الدراسة الى كشف أسباب هذا الصراع وأثره الديني والسياسي على منطقة السودان الغربي	
الكلمات الدالة الفلان – الحاج عمر الفوتي – الامير احمدو الثالث – ماسينا – تنمبكتو – القادرية – التيجانية – السودان الغربي	
Abstract: The Fulani played an important role in spreading Islam in Western Sudan. Their role can clearly be seen through the reformist movements they led during the nineteenth century. It can also be seen in the Islamic States they founded and in the Sufi orders they spread, particularly, the Qadiriyyah and the Tijaniyyah brotherhoods. This generated a conflict between the two brotherhood's disciples led by al-Haj Umar al-Futi al-Tijani and Emir Ahmadu III al-Macini al-Qadiri. The aim of this research is to reveal the reasons of this conflict and its religious and political impacts on Western Sudan.	

* المؤلف المرسل.

Keywords: Fulani-al-Haj Umar al-Futi - Ahmadu III - Macina - Timbuktu - al-Qadiriyyah - al-Tijaniyyah - Western Sudan - Nineteenth Century

1. مقدمة: تميزت قارة إفريقيا بعظمة تاريخها الإنساني ، وضمت بين أرجائها قبائل وشعوب كان لها باع في تاريخها الحضاري ، وشهدت حضارات سادت ثم بادت، ومن بين هذه القبائل التي ساهمت في هذا الإرث الحضاري الإفريقي قبائل الفلان التي انتشرت في وسط وغرب إفريقيا، وكان لها دور كبير في نشر الإسلام في المنطقة وتركت أثراً واضحاً الأمر الذي خلّد اسمها مقارنة بالقبائل المجاورة لها ، والجدير بالذكر أن القرن التاسع عشر شهد ظهور حركات إصلاحية قُلانية جاءت كرد فعل على الأوضاع المزرية وانتشار الوثنية والتوغل الاستعماري الأوروبي في المنطقة ، وقد نجحت في إنشاء إمارات إسلامية عريقة تمثلت في خلافة سوكتو بزعامة الشيخ عثمان بن فودي، وإمارة ماسينا وأميرها الشيخ أحمدو لوبو الماسيني والخلافة العمرية بقيادة الحاج عمر الفوتي ، وقد أدّى التوسع العمري الى نشوب صراع بينه وبين إمارة ماسينا اثر على منطقة السودان الغربي برمته ، لذلك نطرح الإشكالية التالية : ما دواعي الصراع بين أحمدو الثالث الماسيني والحاج عمر الفوتي ؟ وما مظاهره ؟ وكيف انعكس على منطقة السودان الغربي ؟

وسنقسم هذه الدراسة الى أربعة محاور أولاً : لمحة تاريخية عن قبائل الفلان في منطقة السودان الغربي ، ثانياً: دور هذه القبائل في المنطقة خلال القرن التاسع عشر، ثالثاً : الصراع بين الحاج عمر الفوتي و الامير احمدو الثالث الماسيني رابعاً : أثر الصراع على منطقة السودان الغربي .

2. الجذور التاريخية لقبائل الفلان ودورهم في منطقة السودان الغربي خلال القرن التاسع

عشر

1.2 الجذور التاريخية لقبائل الفلان:

اختلف المؤرخون في أصل قبائل الفلان، فمنهم من يقول أنهم فرس نرحوا من آسيا والبعض الآخر يرى أنهم من اليهود أو الروم ، و يجمع العديد من المؤرخين أن أصلهم عربي ، حيث يذكر الشيخ عثمان بن فودي وأخوه عبد الله وابنه مُجَد بيلو أنهم ينتسبون إلى التابعي الجليل عقبة بن نافع الفهري، الذي تزوج ابنة ملك غانة التي تدعى (يج منقو) وولدت له خمسة أبناء وبنات وهم عثمان تورو ومُجَد فلان وابوبكر فلات وعمر درود وعلي غردو وفاطمة شفلو ، وانتشر أحفاد هؤلاء في المنطقة، كما تزوج المجاهدون الذي كانوا معه من الروميات واعتبر أبنائهم من الفلاته لذلك يقسم الفلاته الى أربعة أقسام أبناء عقبة بن نافع وأمههم رومية ، والشلفيون وهم أبناء فاطمة شفلو ابنة عقبة بن نافع ، و الفلاته العرب وهم أبناء المجاهدين العرب الذين تزوجوا من الروميات ، و الفلاته الجعفريون وهم فلاته توردي ينتسبون الى السيدة صفية بنت جعفر بن ابي طالب،¹ ويذكر الشيخ باي بلعالم أنهم من قبيلة حمير اليمنية²، والملاحظ أن أصولهم ليست زنجية ، وإنما هم مجموعة مهاجرة الى المنطقة اختلطت بالسكان الأصليين³ ، وذلك ما يرجحه إبراهيم طرخان بقوله : " ومن المحقق الذي لا شك فيه أنَّ الفلانيين ليسوا زنوجا ، ولكنهم مترنجون نتيجة الاختلاط العميق بالزنوج ...أصبح الفلانيّ يحمل طابعين مميزين : الطابع الزنجي من حيث اللون ، وطابع الجنس الابيض من حيث التقاطيع " .⁴

هناك اختلاف كبير في لفظ كلمة فلان عند قبائل إفريقيا الغربية وعند العرب، فهناك من العرب من غير اسمها ورادفها بلفظ التكاير أو التكارن ، غير أن المتبع يلاحظ انه اختلاف لفظي وشكلي فقط وذلك لاختلاف اللهجات في غرب إفريقيا فهناك من يلفظها فولبي (fulbe) بولو (pollo) فلايني (fulani) فلاليت (falalit) فولا (fula) فلاتنقا (falatanga) فلاتة (falata) ، أما عن أصل التسمية فيقول الشيخ عبد الله بن فودي أن

مصطلح الفلان كلمة عربية مشتقة من الجذر العربي فلت فهم قوم يفلتون فينجون بأنفسهم عندما يرون ما يسوؤهم.⁵

غير أن هذه القبائل الفلانية كانت أكثر القبائل ترحالاً وانتشاراً وذلك لطبيعتهم الرعوية فكانوا متنقلين في أرجاء المنطقة بحثاً عن الكأ لمواشيهم ، وتميزوا بحركيتهم الدائمة مما يجعل تحديد موطنهم ومعرفة عددهم غاية في الصعوبة ، حيث أن موطنهم الأصلي حوض السنغال ومنه انتشروا الى معظم المناطق الصحراوية والاستوائية الإفريقية ، وقد قدر عدد الدول التي يتوزعون فيها حالياً بثمانية عشر ويشكلون ثقلاً اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً وثقافياً في المجتمعات التي يستقرون فيها⁶

2.2 دور قبائل الفلان في منطقة السودان الغربي خلال القرن التاسع عشر : كانت

إفريقيا الغربية مسرحاً للعديد من الأحداث التاريخية وسوقاً تجارية منذ القدم تتبادل فيها البضائع المحلية والمستوردة كما تمازجت فيها أقوام شتى ، وشهدت هجرات داخلية وخارجية ، من بينها نزوح الفولانيين عن موطنهم الأصلي في فوتا تور بالسنغال حالياً، وانتشروا في أماكن واسعة من هذه المنطقة الممتدة من بحيرة التشاد شرقاً حتى المحيط الأطلسي غرباً، في هجرات متعددة منذ القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) كرهاة مسلمين باحثين عن الكأ لماشيتهم ، ويدفعون الضرائب للحكام الذين يسيطرون على مناطق الرعي، وبفضل هذا الهجرات المتوالية تمكنوا من أن يصبحوا أسياد هذه المنطقة⁷ ، وزادت هذه الهجرات في النصف الثاني من القرن التاسع عشر كالتى انطلقت من فوتا تور الى حوض النيجر مع توسع الحاج عمر الفوتي في منطقة السودان الغربي، كما كانت هناك هجرات نحو نهر النيل انطلقت من خلافة سوكتو و أنظمت الى الحركة المهدية في السودان.⁸

شهد القرن التاسع عشر حركات جهادية في منطقة السودان الغربي تهدف إلى العودة بالدين الإسلامي إلى منابعه الصافية ونبذ كل البدع والخرافات التي لصقت به ، وتخليص المجتمع من العادات الوثنية المندسة في العبادات الإسلامية، بالإضافة الى محاربة الإمارات الوثنية ، بيد أن الامر اللافت للانتباه أن جل زعماء هذه الحركات الإصلاحية ينتمون الى العنصر الفولاني،و تمكنوا من إنشاء دول إسلامية قوية تمثلت في خلافة سوكتو وزعيمها الشيخ عثمان بن فودي⁹ القادري وخلافة ماسينا وأميرها الشيخ احمدو لوبو الماسيني¹⁰ القادري،والخلافة العمرية وزعيمها الحاج عمر الفوتي التيجاني¹¹ ، وقد كان زعماء هذه الحركات الإصلاحية علماء متمسكين بالشرعية الإسلامية عاملين على نشرها،مجددين ورافضين للأوضاع التي كانت عليها المنطقة¹² ، وقد غلب عليها الطابع الجهادي متخذة من العمل العسكري عاملاً أساسياً لنشر أفكارها، ومن البعد الصوفي دافعا روحيا لتوسعها.

1.3. الصراع بين الامير احمدو الثالث الماسيني والحاج عمر الفوتي (أسبابه ومظاهره) :

لما رجع الحاج عمر من الأماكن المقدسة الى منطقة السودان الغربي بدأ يدعو الناس الى التمسك بكتاب الله وسنة رسول الله - ﷺ - ومحاربة البدع والخرافات ومواجهة علماء المسلمين المتقاعسين عن نصرة الحق، والرغبة في نشر الإسلام بين القبائل الوثنية، وبعد إعلانه الجهاد وانتصاره على الإمارات الوثنية الواحدة تلو الأخرى وصل الى إمارة سيغو وكانت أشدهم بأساً فتمكن من فتحها في 9 مارس 1861م ففر أميرها فراما علي مونزو الى إمارة ماسينا مستعينا بأميرها الأمير احمد¹³ بن احمد ابن الشيخ احمدو لوبو (احمدو الثالث) ، الذي تحالف معه ضد الحاج عمر، الأمر الذي أدى الى نشوب خلاف بين الأميرين الفلانيين المسلمين وإلى سقوط إمارة ماسينا¹⁴ ويمكننا تلخيص أسباب هذا الصراع في ما يلي :

- تحالف الأمير احمدو الثالث مع إمارة سيغو الوثنية ضد الحاج عمر الأمر الذي أزعج هذا الأخير حيث كان يقول: "إن الإسلام الذي نؤمن به لا يأمر بمصاحبة الكفار ومن صحب قوما فهو منهم".¹⁵ في حين كان احمدو الثالث يعتبرهم مسلمين وتحت سلطته .

- العداء الشخصي بين ملك سيغو فراما علي مونزو المعروف بعلي ويتلا و الحاج عمر الفوتي، حيث اعتقل هذا الملك الحاج عمر أربعين يوما ،وأمر بقتله ألا أن زوجته حالت دون ذلك وطلبت منه إطلاق سراحه ، وكان ذلك عندما كان الحاج عمر يتجول بين علماء مالي في إطار التحصيل العلمي قبل سفره الى الحجاز.

- الصراع الصوفي بين الطريقتين القادرية و التيجانية و معارضة خلفاء ماسينا القادريين انتشار التيجانية في إمارتهم ،بالإضافة الى الدعم الروحي الذي قدمه الشيخ احمد البكاي الكنتي لأمير ماسينا لمقاومة الزحف التيجاني باعتباره شيخاً للطريقة القادرية في منطقة السودان الغربي .

- فشل الحاج عمر في التوسع نحو الأطلسي بعد اصطدامه بالاستعمار الفرنسي، فتوسع شرقا نحو حوض النيجر.

__ كانت إمارة ماسينا في مرحلة النضج الحضاري ولم يتجاوز عمرها أربعين سنة فقط واتسمت بمركزية الحكم في عاصمتها " حمد لله "¹⁶ وتمتعت المقاطعات التابعة لها بنوع من الاستقلالية في التسيير

__ الصراع حول السلطة في إمارة ماسينا بين أفراد العائلة الحاكمة لاسيما بعد وفاة الخليفة المؤسس، وزادت حدته عند انتقال السلطة الى احمدو الثالث الذي لم يتجاوز العشرين من عمره وقلة خبرته بشؤون الحياة ، فوقع ضحية تأمر خصومه من نفس العائلة ، ومن بينهم قائد قواته وابن عم أبيه أبوبكر لوبو المعروف باه لوبو الذي تمكن من توظيف نفوذه في المجلس الكبير لاستخلاف احمدو الحفيد مكان أبيه ، بعد أن أقنعه بالتخلي له عن زمام الأمور في الجيش و

إضافة بعض الأقاليم الى دائرة نفوذه مقابل تخليه له عن عرش الخلافة ، وقد قبل أحمدو الصغير هذا العرض غير مدرك بالمؤامرة التي تحاك ضد عمه عبد الله سيكو الأجدد بالخلافة والمرشح من طرف المجلس الكبير غير أنه كان غائب عن العاصمة الخلافة عند وفاة أخيه أحمدو الثاني¹⁷.

__ قلة العلماء والمفكرين وذوي الخبرة في مجالات الحياة السياسية والاقتصادية في بلاط ماسينا بعد وفاة كبار المستشارين الذين أسسوا الخلافة ودعموها منذ البداية¹⁸

__ تسرب الطريقة التيجانية الى إمارة ماسينا خاصة عند الشيخ احمد بن محمد كوريل والفقهاء المختار وديعة الله وقد لعبا دورا كبيرا في نشر الطريقة بين تلاميذ مدرستيهما القرآنيتين ، الامر الذي سيساعد الجيش العمري في التغلغل ويزوده بالمعلومات عن الاستعدادات العسكرية¹⁹

__ رغبة الحاج عمر في إنشاء دولة إسلامية مركزية تشمل كل السودان الغربي وتستوحي مبادئها من الطريقة التيجانية²⁰.

2.3. الصراع الفكري بين الحاج عمر الفوتي والأمير احمد بن احمد الماسيني

بعد دخول قوات الحاج عمر الى إمارة سيغو استعان أميرها بالأمير احمدو الثالث الذي أمده بجيش من المسلمين اختلط مع الجيوش الوثنية ضد الحاج عمر ،وأدى هذا التحالف الإسلامي الوثني ضد الحاج عمر الى مراسلات بينه وبين أمير ماسينا وصلت الى خمس رسائل ذكرها الحاج عمر في كتابه سيف الحق المعتمد فيما وقع بين الحاج عمر وأمير ماسينا حيث يقول " أعلم أيها المنصف رحمك الله أن احمد بن احمد هذا وجه إلينا خمس وثائق الأولى منها هي التي قدمت علينا في النور وظفرنا بها بعد ما ظفر الكفار بجملتها فأوصلها الله إلينا والثانية التي قدمت علينا ونحن في ساسيري والثالثة والرابعة والخامسة قدمت علينا ونحن في سنسد "²¹

و قد حاول كل منهما أن يبرر موقفه و يثبت بطلان حجج الآخر وقد تضمنت تلك الرسائل ما يلي:

حجج الأمير أحمد الماسيني : خاطب الحاج عمر الفوتي في مقدمة رسالته بالأخ الفقيه الحاج عمر بن سعيد رحمه الله وقال له انك توسعت في المناطق التي تحت بيعتنا كسنسد وطالبه بالبيعة أو الرحيل وذلك فيما نصه : " وإذا أتاك كتابنا هذا فاختر لنفسك إحدى الخلتين، إما الدخول تحت بيعتنا كما هو الواجب عليك، وإما أن ترحل عن تلك البلاد فتوجه الى بلاد غيرها فتقاتل فيها أعداء الله وإلا فليس بيننا وبينك إلا القتال الذي أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم"²²، وأشار الى أن مملكة سيغو تحت بيعته وأن أهلها تخلوا عن وثنيتهم وكسروا أصنامهم بما فيهم أميرهم علي ويتلا فهم مسلمون لا يجوز قتالهم أو الاعتداء عليهم، واعتبر الحاج عمر مثيرا للفتن وذكره بقوله صلى الله عليه وسلم : " الفتنة نائمة ملعون من أيقظها " ²³

رد الحاج عمر على رسائل الأمير احمد الماسيني :

كان رد الحاج عمر قويا دامغا منفعلا حريصا على إثبات الحجة على غريمه، وقد تميزت رسائله بالطول حتى وصل بعضها الى عشر صفحات ، و بالرد على كل صغيرة وكبيرة ساعيا إلى إقامة الحجة واثبات الدلائل الدامغة مستشهدا بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وسير الصحابة رضوان الله عليهم و أشعار العرب و المدونة و مختصر خليل في المذهب المالكي ، وقد دلت هذه الرسائل على سعة اطلاع الحاج عمر و ثقافته الواسعة و قوة شخصيته، وعدم مدهنته لأمر ماسينا، فلم يصفه حتى بالإمارة وخاطبه في مطلع رسالته بقوله: " منا الى احمد بن احمد وجماعته من الماسينين "، واتهمه بالكذب وإيراد حجج باطلة واهية واثبت له أن هؤلاء الوثنيين لازالوا على كفرهم ووثنيتهم وان إمارة سيغو لم تكن مبايعة له بل كانت في عداوة معه

ومع آباءه من قبل، وأشار الى أن الذي بين المسلمين و الكفار أمران لا ثالث بينهما إما الدخول في الإسلام أو الحرب .²⁴

3.3. المواجهة العسكرية بين الحاج عمر وامارة ماسينا: بدأت المواجهة العسكرية بينهما

عندما وصل الحاج عمر الى سنسد وسيطر عليها في أكتوبر 1860، هناك شعر أمير سيغو²⁵ بالخطر وعلم أن لا قدرة له على مواجهة الحاج عمر لوحده فطلب من الأمير احمدو الثالث الماسيني التحالف معه، غير إن هذا الأخير راسل الشيخ احمد البكاي²⁶ يستشير في ذلك فأرسل له رسولاً خاصاً يشجعه على مقاتلة الحاج عمر مع القوات البمبارية الوثنية حتى لا تقع تلك بالبلاد الغنية بالذهب في يد الحاج عمر، وأكد له أن دولته لن تقف عند حدود البمبارة بل ستصل الى إمارة ماسينا إذا لم تبادره بالعداء، بل إن الشيخ أحمد البكاي بعث بعدة رسائل الى أمير مملكة سيغو يؤكد له وقوفه الى جانبه إذا تعرضت بلاده الى الزحف العمري ، وحضه بإلحاح شديد على عدم السماح للحاج عمر بالتوغل في أواسط نهر النيجر²⁷، وعلى اثر هذه المراسلات تحالفت قوات ماسينا مع قوات سيغو وضربوا خيامهم أمام مدينة سنسد مدة شهرين وكل فريق ممتنع على أن يكون البادئ بالاعتداء ، وأمر الحاج عمر قواته بعدم مقاتلة القوات الماسينية المسلمة غير أن هذه الأخيرة كانت السباقة في العدوان وتمكن الحاج عمر من الانتصار على القوات المتحالفة في أول مواجهة عسكرية بينهما في فبراير 1861 واتجه نحو سيغو التي دخلها في 09 مارس 1861 وفر أميرها علي مونزو وبتلا الى مدينة الحمد لله عند الأمير احمدو الثالث²⁸

وبعد إقامة الحاج عمر مدة سنة في عاصمة سيغو وفشل المراسلات بينه وبين أمير ماسينا أعد العدة لمواجهة القوات الماسينية، وكان الجيش العمري بقيادة ألفا عمر شرنوبيل متحالفا مع قبائل دوغون وبوزو وتومبو بينما كان الجيش الماسيني بقيادة باه لوبو (ابو بكر الطيب) عم

الأمير احمدو الثالث متحالفا مع أمانة سيغو الوثنية وأميرها علي مونزو وبتلا و قبيلة كتنه وشيخها الشيخ احمد البكاي الذي كان يصف الحاج عمر بالدجال الذي يجب القضاء عليه²⁹، ونظراً للرعب الكبير الذي بثه الحاج عمر التيجاني في نفس الشيخ البكاي القادري، وخوف هذا الأخير على نفوذه الروحي و السياسي أرسل وفداً من خيرة سفرائه الى ملكة بريطانيا سنة 1862م يطلب مساعدتها العسكرية للحد من النفوذ العمري، غير أنها لم ترد عليه لأنها كانت لا تريد أن تدخل في صراع مع فرنسا التي كانت قد بثت نفوذها في منطقة نهر النيجر منذ القرن السابع عشر في سانت لويس بالسنغال³⁰، وكان عدد قوات الحاج عمر ثلاثين ألف عسكري، وقوات خصومه ضعفها والتقى الطرفان في مكان يدعي جغراي قرب نهر بائي فانتصرت القوات العمرية ودخلت الى العاصمة الماسينية (الحمد الله) في يوم الخميس العاشر من شوال 1278هـ الموافق للعاشر من ابريل 1862م وتوفي الأمير احمدو الثالث متأثراً بجروحه التي أصيب بها خلال المعركة بعد أن حمله رجاله ووصلوا به الى قرب نهر ماني، حيث لحقتهم القوات العمرية فاستشهد في يدهم ودفنوه في مكان مجهول قرب النهر³¹ ، وألقي القبض على ملك سيغو علي مونزو الذي أعلن إسلامه أمام الحاج عمر فأوكله الى إسلامه³² . وبعد سقوط مدينة الحمد لله أصبح الطريق مفتوحاً أمام الحاج عمر ليصل الى مدينة تمنبكتو³³ ولإبعاد هذا الخطر الحاذق أرسل الشيخ البكاي رسالة استعطاف للحاج عمر يقول في مطلعها : " بسم الله الرحمن الرحيم الى الأمير الشيخ الحاج عمر بن سعيد الفوتي نصره الله على الأعداء وأقام على يديه الدين والشرعية السمحاء... الخ " وهنأه على الانتصارات التي حققها وبرر له مواقفه السابقة منه ومن الطريقة التيجانية و نظم قصيدة مدحه فيها وأشاد بأخلاقه وانتصاراته³⁴ .

وعلى ضوء اتفاقية 1846م التي وقعت بين الأمير احمدو لوبو والشيخ احمد البكاي كانت تمبكتو تدفع الضرائب لإمارة ماسينا وبعد سقوط هذه الأخيرة ، بعث الحاج عمر أحد القضاة ومعه أربعمائة جندي لحماية الضرائب من تمبكتو التي كانت مقر القيادة الروحية للطريقة القادرية الكنتية البكاية ، وأمام هذا الوضع وجد الشيخ احمد البكاي نفسه في حرج في الموافقة على جمع الضرائب أو منعها ، فاختار الخروج من المدينة والالتحاق بأتباعه الطوارق في الصحراء تفادياً لوقوع أي اصطدام مع الحاج عمر ، غير أن هذا الامر لم يدم طويلا حيث إن الشيخ احمد البكاي استعان بأتباعه وكون جيشا من قبائل الطوارق وقبائل البرايش وأولاد هند و أولاد العوفي ، والقبائل البربرية وعسكر بهم خارج مدينة تمبكتو ، فاتجه إليه الحاج عمر بجيشه ودارت بين الفريقين معركة كبيرة في فبراير 1863م، انهزم فيها الحاج عمر وقتل قائده ألفا عمر شرنوبيل، وفر جنوده تاركين وراءهم المدفعين الشهيرين اللذين كانا وراء انتصاراته، ثم راسله الشيخ احمد البكاي يطلب منه تسليم ماسينا الى باه لوبو فغضب الحاج عمر وزحف بجيشه بقيادة ألفا عثمان على تمبكتو فهزم مرة أخرى في شهر ابريل من نفس السنة وقتل فيها خلق كثير من بينهم ألفا عثمان³⁵، ولما ثار سكان ماسينا على الحاج عمر استغل الشيخ احمد البكاي هذا الظرف وزحف بجيشه على مدينة الحمد لله ، وفرضوا حصاراً على قوات الحاج عمر دام تسعة أشهر، وأمام هذا الوضع المتأزم طلب الحاج عمر من ابن أخيه احمد التيجاني أن يخترق الحصار ويطلب النجدة من القبائل المتحالفة معهم سابقا ، وتمكن احمد التيجاني من الخروج ليلة الخميس 11 شعبان 1280هـ الموافق لـ 21 يناير 1864م، وبدأ يفادى القبائل للتحالف معه، ولما طال انتظاره قام الحاج عمر بإشعال النار في مخازن البارود داخل الحصون مما أدى الى انفجارها وتصاعد دويها ولهبها، الامر الذي اجبر القوات الماسينية المحاصرة أن تتراجع، وحينها تمكن الحاج عمر من كسر جزء من الجدار والخروج ومعه بعض أتباعه وكان

ذلك في 22 شعبان 1280 هـ الموافق لآخر شهر يناير 1864، ووصل الى قرية يوغنا فأدركه مطاروده ثم انتقل الى قرية أخرى تسمى غورو وبضاحتها جبل يدعى ديمبري، فدخل الحاج عمر ومن معه الى الغار فقام مطاروده بإضرام النار في باب الغار فأستشهد الحاج عمر محتقنا ومعه ثلاثة عشر آخرون، وكان ذلك في الثالث من شهر رمضان المعظم 1280 هـ الموافق ل11 فبراير 1864³⁶

4.3 انعكاسات هذا الصراع على منطقة السودان الغربي: تمخض عن هذا الصراع عدة آثار سياسية واجتماعية على منطقة السودان الغربي من بينها ما يلي:

كان لهذا الصراع آثار سياسية كبيرة على المنطقة حيث أسهم في أفول إمارة ماسينا القادرية (1864/1818) التي لم تعمر طويلا بالرغم من الرقي الحضاري الذي وصلت له وقامت على أنقاضها الخلافة العمرية التيجانية، كما اختفت شخصيات فاعلة في المسرح الإفريقي كالحاج عمر الفتوي و الأمير احمدو الثالث³⁷

تحول الصراع بين الطريقتين القادرية و التيجانية من صراع فكري من خلال المراسلات بين علماء وشيوخ الطريقتين الى صراع عسكري حول مناطق النفوذ، حيث توسعت الطريقة التيجانية المعتمدة على القوة والتوسع العسكري على حساب الطريقة القادرية التي تميزت بأنها مسالمة وتعتمد على الحكمة والإقناع في نشر أفكارها، وتمكن المد التيجاني من القضاء على السلطة الروحية للطريقة القادرية الكنتية بعد أن سقطت مدينة تنمبكتو في يد التيجانيين³⁸.

قضت هذه الحرب الأهلية بين أبناء قبيلة الفلان على العديد من الوثائق التاريخية بسبب شراسة المعارك خاصة في مدينتي تنمبكتو والحمد لله ، ووصل عدد الضحايا الى ثمانين ألف قتيل بين الإخوة الأعداء ، كما أثرت سلبا على النشاط الاقتصادي وتجارة القوافل ، وأدت الى

زيادة الهجرات و تشتت العديد من القبائل بحثا عن الأمن والاستقرار الأمر الذي سهل من مهمة التوغل الاستعماري الذي وجد المنطقة مهلهلة ومفككة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا.

بالرغم من الصراع بين قبائل الفلان إلا أنها أسهمت في نشر الإسلام بين القبائل الوثنية وتقوية روابط الوحدة بين سكان المنطقة خاصة حركة الحاج عمر الفوتي³⁹، كما دلت تلك المراسلات على المستوى الثقافي الراقي الذي وصلت إليه المنطقة، والثراء العلمي الزاخر الذي تمتع به علماء المنطقة وخاصة رسائل الحاج عمر و الشيخ احمد البكاي⁴⁰

- تبلور الفكر الجهادي عند الافارقة أسهم في مقاومة المد الاستعماري الذي وجد مقاومة شرسة أعاققت من تقدمه، واعتبر القادة العسكريون الفرنسيون أن الإسلام هو العقبة الكؤود أمام تقدمهم، وعبر عن ذلك " فيدهرب" الحاكم العام الفرنسي في السنغال في معاركه ضد التكرور: " إنهم يندفعون نحونا كما لو كانوا يريدون الاستشهاد"⁴¹

4. خاتمة: وعلى ضوء ما سبق نخلص في خاتمة هذا البحث الى جملة من النتائج يمكن تلخيصها فيما يلي:

- إن الصراع الفولاني الذي شهدته النصف الثاني من القرن التاسع عشر بين دولتين إسلاميتين قامتتا على فكرة الجهاد الإسلامي، يعتبر مأساة حقيقة، أثر على المنطقة برمتها، بالرغم من احتماء الدولتين بالكتاب والسنة النبوية لتبرير موقفهما السياسي والعسكري، بيد أن هذا لا يمنع من تحميل جميع الأطراف مسؤولية ما حدث بسبب تشبث كل منهما بموقفه ومبالغتهما في تأويل تداعيات هذا الصراع الى حد المغامرة أو حب السلطة أو هما معا.

- أدى هذا الصراع الى تعميق النزاع بين قبائل الفلان من جهة وبين أتباع الطريقتين القادرية و التيجانية من جهة أخرى، وأثر على المنطقة بأسرها وجعلها عرضة للتغلغل الاستعماري الذي تمكن من احتلالها كلها مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

- نجد أن هذه المراسلات بين المتنازعين حملة في طياتها العديد من التساؤلات التي هي في حاجة الى إجابات واضحة من خلال دراسة واستنطاق هذه الوثائق التي دلت على المستوى العلمي الراقي الذي وصلت إليه المنطقة، وكشف اللثام عن تاريخ هذه المنطقة الذي شوهه الاستعمار، وأبعدها عن ماضيها الإسلامي التليد.

- استطاعت الطريقة التيجانية أن تلعب دوراً مهماً في المجالين الروحي والسياسي خلال النصف الثاني من القرن التاسع وان تكتسب مكانة مرموقة في نفوس الافارقة ، ولعل دورها الجهادي ومقارعتها للاستعمار أكسبها سمعة كبيرة في غرب إفريقيا.

- تمخض عن هذا النزاع المحاصر التيجانية في الجزء الغربي من المنطقة، وحافظت القادرية على نفوذها السياسي والروحي في المناطق الوسطى والشرقية والغربية .

- تواصل انتشار الطريقة التيجانية بعد وفاة الحاج عمر بفضل جهود مجموعة من العلماء ساهموا في نشرها سلميا مثل الحاج مالك سي وإبراهيم نياس وغيرهم .

- كما نخلص الى أن ما يجمع الطريقتين أكثر مما يفرقهما فكل منهما خدم الإسلام في المنطقة ونشر الثقافة العربية الإسلامية ، فكانا نموذجين مثاليين اقتدى بمهما قادة حركات التحرر في افريقيا الغربية.

5. قائمة المراجع:

- أدى آجايي وآخرون : تاريخ إفريقيا العام، المجلد السادس ، القرن التاسع عشر في إفريقيا حتى ثمانياته ، (اليونسكو)، المطبعة درغام واولاده ، لبنان ، 1996
- احمد بوعتروس : الحركات الإصلاحية في إفريقيا جنوب الصحراء أبان القرن 13هـ/19م ، دار الهدى الجزائر ، السنة 2009

- الهام مُحمَّد علي ذهني: جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي 1850/1914، دار المريخ ، الرياض ، 1988،
- الطيب عبد الرحيم مُحمَّد فلاتي : الفلاتة في إفريقيا ومساهماتهم الإسلامية والتنمية في السودان ، دار الكتاب الحديث ، الكويت ، 1994
- يحي بوعزيز : تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن 16 إلى 20، دار هومة ، الجزائر ، 2001،
- مبارك جعفري : الأزواد خلال القرن 13 هـ/ 19 م ، ، دار الكتاب العربي ، 2021
- مُحمَّد الحافظ التيجاني : الحاج عمر الفوقي سلطان الدولة التيجانية بغرب إفريقيا ، الكتاب الأول :شيء من جهاده وتاريخ حياته ، والكتاب الثاني : ما وقع بينه وبين أمير ماسينا بغرب إفريقيا ، مطبعة الزاوية التيجانية ، مصر ، 1383
- مُحمَّد باي بلعالم : قبيلة الفلان في الماضي والحاضر وما لها من العلوم والمعرفة و المآثر ، ادار ، 2004،
- مُحمَّد سعيد القشاط : أعلام من الصحراء ، دار الملتقى ، بيروت ، 1997
- عبد الحكيم الوائلي : موسوعة قبائل العرب ، ط1، ج 4 ،الأردن ، دار أسامة للنشر و التوزيع ، 2002،
- عبدا لقادر زبادية : دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين ، الجزائر ، المطبوعات الجامعية، 2010،
- عثمان برايما باري : جدور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي ، دار الأمين ، القاهرة ، السنة 2000م
- صالح ساتي مهدي : مع الإسلام والثقافة العربية في السنغال ، المركز الإسلامي الإفريقي ، الخرطوم، 1991

المجلات:

- إبراهيم طرخان : إمبراطورية الفلانيين الإسلامية ، مجلة كلية الاداب جامعة الرياض ، المجلد 6، 1979
- الطاهر دوباخ: دور قبائل الفولاني في الثورة المهدية بالسودان 1899/1881 ، مجلة المواقف للبحوث و الدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد2، جامعة الجزائر 2، ديسمبر 2019
- علي يعقوب : الفلانيون الشعب واللغة ، مجلة قراءات افريقية الصادرة عن المنتدى الإسلامي ، العدد 24، 2015
- عمر عبد الماجد : التنافس الطائفي والسياسي على مدينة تمنبكتو في القرن التاسع عشر، مجلة دراسات افريقية ، العدد48، جامعة إفريقيا العالمية ، الخرطوم ، ديسمبر 2012

الرسائل:

- آدب ولد سيد محمد : دور علماء كنته في الحياة الإصلاحية والسياسية في موريتانيا والسودان الغربي 1759-1864 (أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر) قسم التاريخ ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة محمد بوضياف المسيلة ، الجزائر ، السنة 2021/2022
- الهادي هارون : الطريقة القادرية في وسط وغرب إفريقيا ودورها الحضاري من القرن 16 الى 19م، (رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر)، قسم التاريخ ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة غرداية ، الجزائر ، 2015/2016
- زهرة مسعودي : الطرق الصوفية في توات وعلاقتها بغرب إفريقيا من القرن 18 الى 20، (رسالة ماجستير في التاريخ الإفريقي الحديث والمعاصر) قسم التاريخ ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أحمد دراية ادرار ، الجزائر

- محمد جاكيتي : الفلانيون في مالي وإسهامهم في الحضارة الإسلامية بمالي خلال القرنين 12هـ-13هـ/18م-19م، (أطروحة دكتوراه في الحضارة الإسلامية)، قسم المعهد الأعلى لأصول الدين ،جامعة الزيتونة ،تونس، الموسم 2006-2007
- نوح عيسي سيدبي : تطبيق أحكام الشريعة في إمارة ماسن الإسلامية ما له وما عليه (أطروحة ماجستير في الدراسات الإسلامية)قسم الدراسات العليا ، الجامعة الإسلامية في النيجر ، الموسم 2007-2008

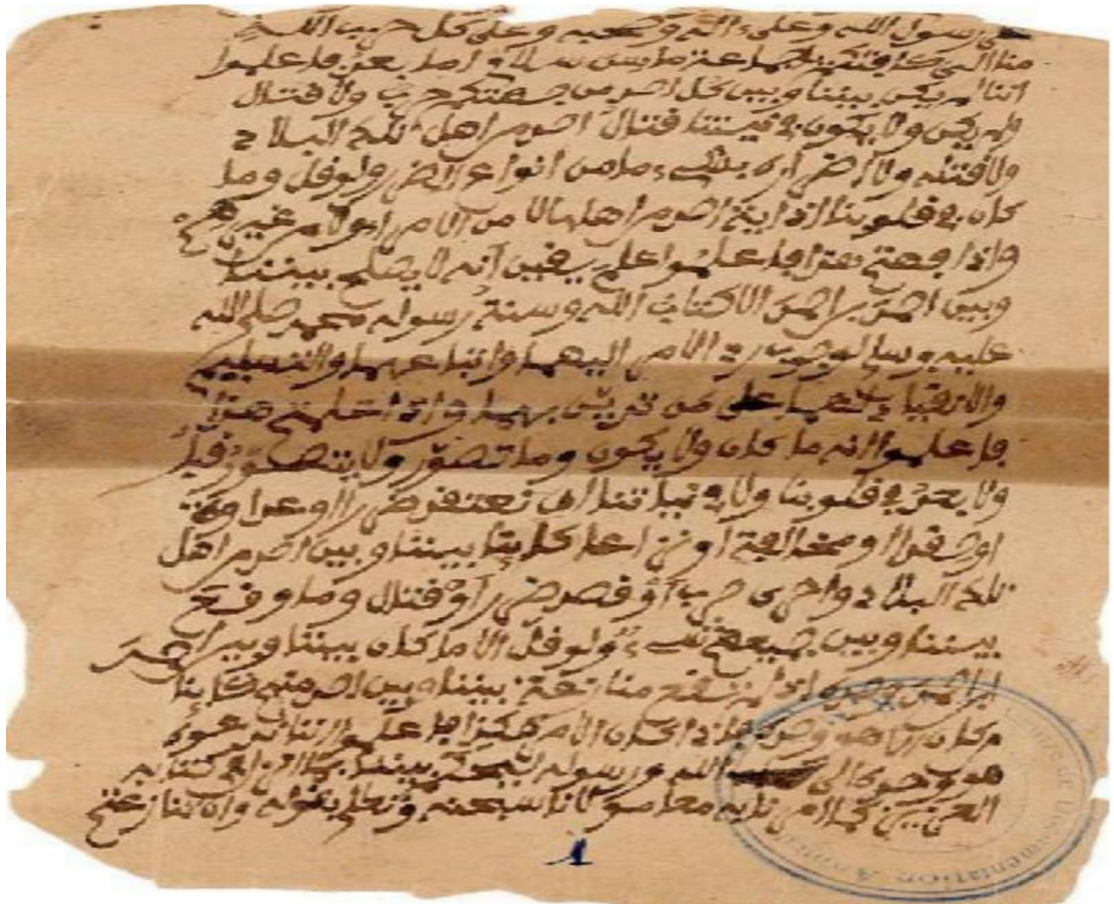
- Sanankoua Bintou : Un Empire peul au XIXe siècle La Duna Maasina, karthala Editions, 1990
- Hamadou Boly: Le soufisme ou mali 19 siècle à nos jours, thèse doctora, dirigée par Geoffroy Eric Ecole doctora des humanités Université Strasbourg ,2013

6 - الملاحق:

الملحق الاول :

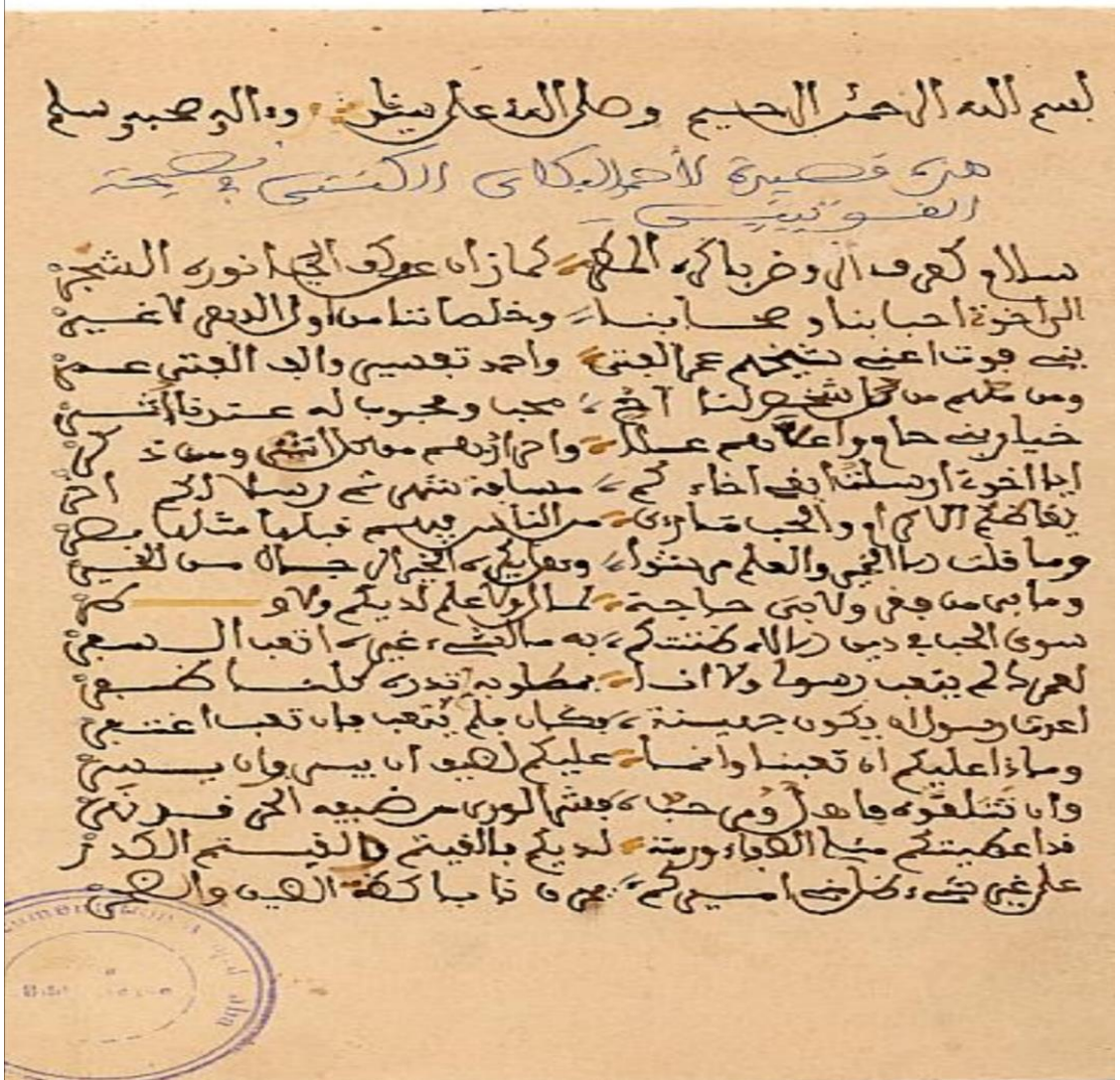
رسالة الحاج عمر الفوتي الى أهل ماسينا

الصراع بين قبائل الفلان وأثره على منطقة السودان الغربي خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي



Hamadou Boly: Le soufisme ou mali 19 siècle à nos jours, thèse doctorale, dirigée par Geoffroy Eric Ecole doctorale des humanités Université Strasbourg, p 366

الملحق الثاني: من قصيدة الشيخ احمد البكاي الكنتي نصيحة الى الفوتيين :



Hamadou Boly: op,cit,p364

الهوامش :

¹ الطيب عبد الرحيم مُجَّد فلاني : الفلانة في إفريقيا ومساهماتهم الإسلامية والتنمية في السودان ، دار الكتاب الحديث ، الكويت ، 1994 ، ص 19-20

² مُجَّد باي بلعالم : قبيلة الفلان في الماضي والحاضر وما لها من العلوم والمعرفة و المآثر ، ادرار ، 2004 ، ص 12

³ علي يعقوب : الفلانيون الشعب واللغة ، مجلة قراءات إفريقية الصادرة عن المنتدى الإسلامي ، العدد 24 ، 2015 ، ص 19

⁴ إبراهيم طرخان : إمبراطورية الفلانيين الإسلامية ، مجلة كلية الاداب جامعة الرياض ، المجلد 6 ، 1979 ، ص 100

⁵ عبد الحكيم الوائلي : موسوعة قبائل العرب ، ط1 ، ج 4 ، الأردن ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، 2002 ، ص 1709

⁶ الطاهر دوباخ : دور قبائل الفولاني في الثورة المهدية بالسودان 1881/1899 ، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ ، العدد 2 ، جامعة الجزائر 2 ، ديسمبر 2019 ، ص 179

⁷ Sanankoua Bintou : Un Empire peul au XIXe siècle La Duna
Maasina, karthala Editions, 1990, p 20-21

⁸ الطاهر دوباخ : نفسه 191

⁹ الشيخ عثمان بن فودي : من كبار الدعاة والمصلحين في إفريقيا خلال القرن 19 م أسس خلافة سوكتو ، انظر مُجَّد سعيد القشاطر : أعلام من الصحراء ، دار الملتقى ، بيروت ، 1997 ، ص 115

¹⁰ الشيخ احمدو لوبو : داعية ومصلح إفريقي انشأ إمارة إسلامية في ماسينا عام 1818 ، انظر يحي بوعزيز : تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن 16 الى 20 ، دار هومة ، الجزائر ، 2001 ، ص 153

¹¹ الحاج عمر الفتوي : مصلح ومجاهد إفريقي ، أسس إمارة إسلامية في إفريقيا الغربية وبعد رائد الطريقة التيجانية في المنطقة ، انظر مُجَّد سعيد القشاطر ، المرجع السابق ، ص 133

¹² آدى أجايي وآخرون : تاريخ إفريقيا العام ، المجلد السادس ، القرن التاسع عشر في إفريقيا حتى ثمانياته ، (اليونسكو) ، المطبعة درغام واولاده ، لبنان ، 1996 ، ص 607

¹³ احمدو الثالث : آخر امراء دولة ماسينا (1853-1862) دخل في صراع مع الحاج عمر أودى بحياته وقضى على دولته

- ¹⁴ ماسينا : تقع في الشمال الغربي لمنطقة السودان الغربي في منعطف نهر النيجر في دولة مالي حاليا ، أقام بها أحمدو لوبو إمارة إسلامية فلاّنية عمرت أربعاً وأربعين سنة (1818-1862) انظر : مُجّد جاكايي :
الفلاّنيون في مالي وإسهامهم في الحضارة الإسلامية بمالي خلال القرنين 12هـ-13هـ/18م-19م، (أطروحة دكتوراه في الحضارة الإسلامية)، قسم المعهد الأعلى لأصول الدين ،جامعة الزيتونة ،تونس، الموسم 2006-2007، ص 34-35
- ¹⁵ صالح ساتي مهدي : مع الإسلام والثقافة العربية في السنغال ، المركز الإسلامي الإفريقي ،الخرطوم، 1991 ص 27
- ¹⁶ حمد الله : عاصمة إمارة ماسينا أختطها أحمدو لوبو 1820 ودام بناؤها أكثر من سنتين وسماها بمذا الاسم إظهار للشكر والخضوع والامتنان لله عز وجل ، أنظر نوح عيسى سيدي : تطبيق أحكام الشريعة في إمارة ماسن الإسلامية ما له وما عليه (أطروحة ماجستير في الدراسات الإسلامية)قسم الدراسات العليا ، الجامعة الاسلامية في النيجر ، الموسم 2007-2008 ، ص 98
- ¹⁷ نوح عيسى سيدي : نفسه ص 112
- ¹⁸ عثمان براّما باري : جدور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي ، دار الأمين ، القاهرة ، السنة 2000م ص 201 - 204
- ¹⁹ عمر عبد الماجد : التنافس الطائفي والسياسي على مدينة تمبكتو في القرن التاسع عشر، مجلة دراسات إفريقية ،العدد48،جامعة إفريقيا العالمية ، الخرطوم ، ديسمبر2012 ، ص 179
- ²⁰ عبد القادر زبادية : دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين ،المطبوعات الجامعية،الجزائر،2010،ص96
- ²¹ مُجّد الحافظ التيجاني : الحاج عمر الفوتي سلطان الدولة التيجانية بغرب إفريقيا ، الكتاب الأول :شيء من جهاده وتاريخ حياته ، والكتاب الثاني : ما وقع بينه وبين أمير ماسينا بغرب إفريقيا ،مطبعة الزاوية التيجانية ،مصر، 1383هـ ص 12
- ²² مُجّد الحافظ التيجاني : نفسه ص 11
- ²³ حمد الحافظ التيجاني :المرجع السابق ص 15
- ²⁴ نفسه ص 14-18
- ²⁵ سيغو : مدينة واقعة على حوض نهر النيجر في القسم الجنوبي في دولة مالي

²⁶ الشيخ احمد البكاي : (1803-1865) الخليفة الثالث للطريقة القادرية الكنتية ترعرع في أحضان قبيلته ، لعب دورا سياسيا كبيرا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ودخل في صراع مرير ضد الحاج عمر الفوتي التيجاني

²⁷ عمر عبد الماجد: المرجع السابق ص 180

²⁸ آدى آجايي وآخرون : المرجع السابق ص 696-697

²⁹ عثمان برإما باري : المرجع السابق ص 205

³⁰ عمر عبد الماجد: المرجع السابق ص 171

³¹ عثمان برإما باري : المرجع السابق ص 206

³² محمد الحافظ التيجاني : المرجع السابق ، ص 04

³³ تنمبكتو : مدينة تقع شمال مالي وهي من أهم العواصم في غرب إفريقيا انظر : مبارك جعفري : الأزواد

خلال القرن 13هـ/19م ، دار الكتاب العربي ، 2021 ، ص 58-59

³⁴ عمر عبد الماجد: المرجع السابق ص 180

³⁵ آدب ولد سيد محمد : دور علماء كنته في الحياة الإصلاحية والسياسية في موريتانيا والسودان الغربي

1759-1864 (أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر) قسم التاريخ ، كلية العلوم الإنسانية

والاجتماعية ، جامعة محمد بوضياف المسيلة ، الجزائر ، السنة 2021/2022 ، ص 216

³⁶ عثمان برإما باري : المرجع السابق ، ص 207-208-209

³⁷ الهادي هارون : الطريقة القادرية في وسط وغرب إفريقيا ودورها الحضاري من القرن 16 إلى 19م،)

رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة غرداية

الجزائر ، 2015/2016 ، ص 104

³⁸ عثمان برإما باري : المرجع السابق ، ص 206

³⁹ زهرة مسعودي : الطرق الصوفية في توات وعلاقتها بغرب إفريقيا من القرن 18 إلى 20، (رسالة

ماجستير في التاريخ الإفريقي الحديث والمعاصر) قسم التاريخ ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة

أحمد درارية ادرار ، الجزائر ، ص 79

- ⁴⁰ احمد بوعتروس : الحركات الإصلاحية في إفريقيا جنوب الصحراء أبان القرن 13هـ/19م ، دار الهدى الجزائر ،السنة 2009 ص 325
- ⁴¹ الهام محمد علي ذهني: جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي 1850/1914، دار المريخ ، الرياض ، 1988 ص 38